

## العلم أصل في نهضة الأمة المسلمة وظهورها دراسة موضوعية لقوله تعالى: {هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره} على الدين كله وكفى بالله شهيداً الفتح: 28

عبد العزيز بن محمد السحيباني \*

### ملخص

الحمد لله القائل في محكم التنزيل: { وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله } {الأنعام: 153}. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، امتن علينا بخير رسله، وأنزل علينا أشرف كتبه، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس. وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، تركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

أما بعد:

فإنه لا سبيل إلى تحقيق النهوض بالأمة المسلمة إلا بعودتها إلى قرآنها ومصدر عزتها، والسير على النهج نفسه الذي خطه لها نبيها وقائدها محمد بن عبد الله، وسلوكه الصحابة الأخيار، والسلف الأبرار.

وإن من أعظم أصول هذا النهج النبوي التي قام عليها، وأتى ثماره العظيمة هو العلم.

وهو الأصل الذي لا بد أن يجعله الدعاة والمصلحون ركيزة في جهودهم المبذولة للنهوض بالأمة وإعادتها إلى سابق مجدها.

وقد تصافرت النصوص الكثيرة في الدلالة على هذا الأصل، في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن أظهرها دلالة: قوله تعالى: { هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً } الفتح: 28.

ويهدف هذا الموضوع إلى بيان أمرين:

1- أن القرآن الكريم قد قرر أن العلم هو الأصل في نهضة الأمة وظهورها على سائر الأمم.

2- أن القرآن قد أبان بجلاء المنهجية في تلقي هذا العلم؛ كي يحقق غرضه، ويؤتي ثمرته المرجوة.

وتكمن أهمية هذا الموضوع في أمرين:

1- أنه يتناول أصلاً كبيراً، يقوم عليه منهج النهوض بالأمة المسلمة؛ فيتعين بيانه.

2- أن الأخذ بهذا الأصل على الوجه الصحيح يضمن لأهله تحقيق المقصود؛ فهي سنة ربانية لا تتخلف، والتاريخ يشهد بهذا.

الكلمات الدالة: العلم، النهضة، الأمة الإسلامية.

### التمهيد

#### تعريف بسورة الفتح وسبب نزولها وموضوعها

سورة الفتح سورة مدنية بالإجماع. وقد نزلت ليلاً في كراع الغميم بين مكة والمدينة، وذلك في السنة السادسة من الهجرة، عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من الحديبية، بعد توقيعه وثيقة الصلح مع المشركين<sup>(1)</sup>.

وقد جاء في سبب نزولها: ما أخرجه البخاري في صحيحه

\* كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية. تاريخ استلام البحث 2010/10/19، وتاريخ قبوله 2011/11/29.

(الشَّمْسُ)، ثُمَّ قَرَأَ: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} (3).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لَمَّا نَزَلَتْ: { إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا \* لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ } إلى قوله: { فَوْزًا عَظِيمًا } الفتح: 1-5 مَرْجَعُهُ - صلى الله عليه وسلم - من الْحُدَيْبِيَّةِ وهم - يعني الصحابة - يُخَالِطُهُمُ الْحُزْنُ وَالْكَأَبُ وقد نحر الهدى بالحديبية فقال: (لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا). متفق عليه (4).

وعن سهل بن حنيف رضي الله قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية، ولو نرى قتالا؛ لقاتلنا، فجاء عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ فقال: (بلى)، فقال: أليس قتلنا في الجنة وقتلهم في النار؟ قال: (بلى)؛ قال: فعلم نعطي الدنيا في ديننا؟ أنرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (يا ابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله أبدا). فانطلق عمر إلى أبي بكر فقال له مثل ما قال للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إنه رسول الله، ولن يضيعه الله أبدا؛ فنزلت سورة الفتح؛ فقرأها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عمر إلى آخرها، فقال عمر: يا رسول الله أو فتح هو؟ قال: (نعم). متفق عليه (5).

وروى أحمد وأبو داود والحاكم من حديث مُجَمَّعٍ بَنٍ جارية قال: شهدنا الحديبية فلما انصرفنا وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا عند كُرَاعِ الغميم وقد جمع الناس قرأ عليهم: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} الآية؛ فقال رجل: يا رسول الله أو فتح هو؟ قال: إي والذي نفسي بيده إنه لفتح. ثم قسمت خيبر على أهل الحديبية (6).

#### موضوع السورة:

الموضوع الذي تتناوله آيات سورة الفتح ظاهر لمن تأملها؛ فقد نزلت تعقيبا على ما جرى في الحديبية من وقائع، منها: صد المشركين للمسلمين عن البيت، وحزنهم وغضبهم لهذا الصد، وتخلف المنافقين والأعراب عن الغزوة، وبيعة الرضوان، ورؤيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دخول البيت (7).

بيد أن من أعظم مقاصد هذه السورة المباركة: التأكيد على تعظيم حرمانات الله تعالى، وعلى أهمية امتثال المؤمنين وإذعانهم لحكم الله ورسوله إذعانا تاما، لا تردد فيه، وأن يوطنوا أنفسهم على الرضا بقضاء الله الشرعي الذي قضاه لهم في صلح الحديبية، ولو كان فيه من الشروط ما قد يكون في ظاهرها غضاضة عليهم وغبن لهم وحط من أقدارهم. ولو كان لهم من القوة في عددهم وعددهم ما يعينهم على هزيمة المشركين، ويغنيهم عن الصلح؛ فإن الأمر كله لله من قبل ومن

بعد، وقضاؤه تبارك وتعالى أكبر من السنن والعوائد.

#### لماذا سميت السورة بهذا الاسم؟

سميت سورة الفتح بهذا الاسم؛ لأنه كان بشارة عظيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أستهلت به السورة؛ حيث قال جل وعلا: { إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا } الفتح: 1. وفي هذه الآية براعة استهلال يشير إلى موضوع السورة ومقصودها؛ فالمراد بالفتح هنا على قول الجمهور هو صلح الحديبية (8).

وقد أعاد جل وعلا تأكيد هذا الفتح في قوله: { لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّوْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا } الفتح: 27 (9).

قال الحافظ ابن كثير: "وقوله: فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا، أي: فعلم الله تعالى من الخيرة والمصلحة في صرفكم عن مكة ودخولكم إليها عامكم ذلك ما لم تعلموا أنتم، فجعل من دون، أي: قبل دخولكم الذي وعدتم به في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم، فتحا قريبا: وهو الصلح الذي كان بينكم وبين أعدائكم من المشركين" (10).

ووجه تسمية صلح الحديبية فتحا - رغم صد المشركين لهم، ورغم ما كان فيه من الشروط التي كانت يادي الرأي مجحفة - أنه كان كالتمهيد لما بعده من فتح عظيم وخير عظيم، ودخل بسببه بشر كثير في الإسلام (11).

أخرج البيهقي في الدلائل بسنده عن عروة بن الزبير قال: وأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الحديبية راجعا؛ فقال رجال من أصحاب رسول الله: ما هذا بفتح؛ لقد صددنا عن البيت، وصد هدينا، وعكف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحديبية، وزد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلين من المسلمين خرجا، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قول رجال من أصحابه أن هذا ليس بفتح؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: {بئس الكلام! هذا أعظم الفتح؛ لقد رضي المشركون أن: يدفعوكم بالراح عن بلادهم، ويسألونكم القضية، ويرغبون إليكم في الأمان، وقد رأوا منكم ما كرهوا، وقد أظفركم الله عز وجل عليهم، وردكم سالمين غانمين مأجورين، فهذا أعظم الفتوح، أنسيتم يوم أحد؛ إذ تصعدون ولا تلوون على أحد، وأنا أدعوكم في أحراركم، أنسيتم يوم الأحزاب؛ {إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا} الأحزاب: 10. قال المسلمون: صدق الله ورسوله؛ هو أعظم الفتوح، والله يا نبي الله ما فكرنا فيما فكرت فيه، ولأنت أعلم بالله عز وجل وبالأمر منا، وأنزل الله عز وجل سورة الفتح: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا } إلى قوله: {صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} الفتح: 1-2 (12).

الآية الأولى منهما على أن العلم أصل أصيل لنهضة الأمة وظهورها، ولبيان ذلك أقول، وبالله التوفيق:

تقدم في التمهيد أن موضوع سورة الفتح هو صلح الحديبية، وأن الله تعالى سماه فتحاً في مستهل السورة، وأكد ذلك في أواخرها؛ لأنه كان سبباً لما تلاه من فتوحات.

ثم ختمت السورة بآيتين جامعتين:

قال الله تعالى: { هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً \* محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فازره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا { الفتح: 28-29.

وإن المتأمل في آيات السورة يلحظ أن هذه الخاتمة قد قررت بصورة جلية الأسباب التي تكفل للأمة الفتح في كل عصر ومصر.

وعليه فهذه الخاتمة أصل في نهضة الأمة المسلمة وظهورها.

وهذا يتبين بالنظر في موضوع هاتين الآيتين، وموقعهما من السورة.

موضوع الآية الأولى:

قال الله تعالى: { هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً { الفتح: 28.

الناظر في هذه الآية الجامعة نظرة تدبر؛ سجد أن موضوعها يتناول أسباب ظهور دين الإسلام وعلوه على سائر الأديان، وأن أعظم هذه الأسباب هو الهدى ودين الحق.

والسياق الذي وردت به الآية - بل السورة كلها - في الفتح ومجاهدة المشركين.

وقد تكررت هذه الآية الكريمة في موضعين آخرين من القرآن، مع اختلاف في عجزها.

الموضع الأول في سورة التوبة، والموضع الثاني في سورة الصف.

قال الله تعالى: { هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون { التوبة: 33

والصف: 9.

والآيتان في الموضعين أيضاً قد جاءتا في سياق الأمر بمجاهدة الكفار من جميع الطوائف؛ لأنهم يريدون إطفاء نور الله، ويسعون سعياً حثيثاً في الكيد لدينه الحق، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره.

وذكر ابن إسحاق في السيرة عن الزهري أنه قال في صلح الحديبية: "فَمَا فُتِحَ فِي الْإِسْلَامِ فَتْحٌ قَبْلَهُ كَانَ أَعْظَمَ مِنْهُ إِنَّمَا كَانَ الْقِتَالُ حَيْثُ التَّقَى النَّاسُ فَلَمَّا كَانَتْ الْهُدْنَةُ وَوَضِعَتْ الْحَرْبُ وَأَمَنَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَالتَّقَوُا فَتَقَاوَضُوا فِي الْحَدِيثِ وَالْمُنَازَعَةِ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدٌ بِالْإِسْلَامِ يَغْلُ شَيْئًا إِلَّا دَخَلَ فِيهِ، وَلَقَدْ دَخَلَ فِي تَيْبِكَ السَّنَتَيْنِ مِثْلُ مَنْ كَانَ فِي الْإِسْلَامِ قَبْلَ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرُ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: "وَالدَّلِيلُ عَلَى قَوْلِ الزَّهْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَى الْحَدِيثِ فِي أَلْفٍ وَأَرْبَعٍ مِئَةٍ فِي قَوْلِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، ثُمَّ خَرَجَ عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ بَعْدَ ذَلِكَ بِسَنَتَيْنِ فِي عَشْرَةِ أَلْفٍ"<sup>(13)</sup>.

وقال ابن القيم في معرض بيانه لقوله تعالى: { لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً { الفتح: 27 "بين سبحانه حكمة ما كرهه عام الحديبية، من صد المشركين لهم؛ حتى رجعوا ولم يعتمروا، وبين لهم أن مطلوبهم يحصل بعد هذا، فحصل في العام القابل، وقال سبحانه: { فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً }، وهو صلح الحديبية، وهو أول الفتح المذكور في قوله: { إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً }؛ فإن بسببه حصل من مصالح الدين والدنيا والنصر وظهور الإسلام ويطلان الكفر ما لم يكونوا يرجونه قبل ذلك، ودخل الناس بعضهم في بعض، وتكلم المسلمون بكلمة الإسلام وبراهينه وأدلته، جهرة، لا يخافون، ودخل في ذلك الوقت في الإسلام قريب ممن دخل فيه إلى ذلك الوقت، وظهر لكل أحد بغى المشركين وعداوتهم وعنادهم، وعلم الخاص والعام أن محمداً وأصحابه أولي الحق والهدى، وأن أعداءهم ليس بأيديهم إلا العدوان والعناد؛ فإن البيت الحرام لم يصد عنه حاج ولا معتمر من زمن إبراهيم؛ فتحققت العرب عناد قريش وعداوتهم، وكان ذلك داعية لبشر كثير إلى الإسلام، وزاد عناد القوم وطغيانهم، وذلك من أكبر العون على نفوسهم، وزاد صبر المؤمنين واحتمالهم والتزامهم لحكم الله وطاعة رسوله، وذلك من أعظم أسباب نصرهم. إلى غير ذلك من الأمور التي علمها الله، ولم يعلمها الصحابة، ولهذا سماه فتحاً، وسئل النبي صلى الله عليه وسلم أفتح هو؟ قال: نعم"<sup>(14)</sup>.

## المبحث الأول

### خاتمة السورة أصل في نهضة الأمة وظهورها

يعد هذا المبحث مدخلاً وتوطئة للحديث عن العلم كأصل لنهضة الأمة وظهورها؛ لأن الآيتين اللتين ختمت بهما السورة قد اشتملتا على الأصول التي لا بد منها لنهضة الأمة، ودلت

### وأما موضوع الآية الأخيرة من سورة الفتح:

فهو يتناول الصفات الجامعة التي كان عليها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي صاروا بها أهلاً للفتح المبين والتمكين في الأرض، وهي الصفات ذاتها التي لا بد أن تكون عليها كل أمة تتصدى لحمل هذا الدين، وتسعى في نشره وإعلائه.

قال الله تعالى: { محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا } الفتح: 29.

وقد صُدِّرت هذه الآية الكريمة بأحسن الثناء على النبي الكريم؛ فقال تعالى: محمد رسول الله. قال الحافظ ابن كثير: محمد رسول الله، وهذا مبتدأ وخبر، وهو مشتمل على كل وصف جميل<sup>(15)</sup>.

وتعد هذه الجملة توطئة بديعة؛ فالآية في الصحابة وصفاتهم؛ بيد أن التصدير بها يشير إلى أمرين:

أحدهما: أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الأولى بالمدح والتكريم؛ فهو الأسوة، وهو الأكمل في تلك الصفات التي مدح الله بها الصحابة، وهذا كقوله تعالى: { آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير } البقرة: 285.

الثاني: أنه صلى الله عليه وسلم هو السبب فيما بلغه الصحابة من خصال كريمة وصفات حميدة؛ فهو الذي علمهم، ورباهم على عينه، وارتقى بهم إلى ذلك الأفق الكريم؛ حتى ظهرت سرائرهم، وزكت نفوسهم، وسمت أخلاقهم؛ كما قال عز وجل: { لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين } آل عمران: 164.

وقوله تعالى: والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم: هذه هي الصفة الأولى لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي تحكي كمالهم في علاقتهم بالخلق، وأن مبناها على عقيدة الولاء والبراء؛ فقوله: أشداء على الكفار يشير إلى أنهم جادون في عداوتهم؛ فلم يروا منهم إلا الغلظة والشدّة؛ فلذلك ذل لهم الكفار، وانكسروا. وقوله: رحماء بينهم يشير إلى أنهم متحابون فيما بينهم، متراحمون، متآلفون، وأنهم كالجسد الواحد؛ يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه.

وهذه الجملة دالة: على قوة إيمانهم، وكمال محبتهم لله ورسوله وأوليائه الصالحين، وعلى شدة بغضهم لأعداء الله ورسوله من الكفار والمنافقين.

وقوله تعالى: تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود: وهذه الصفة تحكي كمال علاقتهم بربهم تبارك وتعالى؛ فقوله: تراهم ركعاً سجداً يدل على مداومتهم على عبادة ربهم، وعلى حسن صلاتهم وكثرتها، وقوله: يبتغون فضلاً من الله ورضواناً يدل على إخلاصهم في عبادتهم. وقوله: سيماهم في وجوههم من أثر السجود، أي: قد أثرت العبادة - لكثرتها وحسنها - في وجوههم، فلما استتارت بالصلاة بواطنهم، استتارت بالجلال والجمال ظواهرهم؛ فدلّت هذه الجملة على كمال صلاحهم ظاهراً وباطناً. أخرج الإمام الطبري بسنده عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله: سيماهم في وجوههم، قال: السمت الحسن. وأخرج من طريق مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله: سيماهم في وجوههم من أثر السجود، قال: أما إنه ليس بالذي ترون، ولكنه سيما الإسلام وسخنته وسمته وخشوعه<sup>(16)</sup>. وقال الحافظ ابن كثير: "... فالصحابة - رضي الله عنهم - خلصت نياتهم، وحسنت أعمالهم؛ فكل من نظر إليهم أعجبه في سمتهم وهديهم<sup>(17)</sup>.

وقوله تعالى: ذلك مثلهم في التوراة، هاهنا تم الكلام، والمعنى: أن أوصاف الصحابة التي تقدمت مذكورة في التوراة<sup>(18)</sup>. وهذا يدل على أن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة؛ فأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نوه الله بذكرهم في الكتب المنزلة، والتي من أعظمها التوراة<sup>(19)</sup>.

وقوله تعالى: ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، وهذا المثل البدعي يحكي كمال علاقة الصحابة الأبرار برسولهم الكريم، وأنهم عزروه، ونصروه، وفدوه بأنفسهم وآبائهم وأمهاتهم. ومعنى هذا المثل: أن صفتهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه، أي: أفرأه، وقوله: فأزره، أي: قوى الشطأ الزرع وشد أزره، وقوله: فاستغلظ، أي: غلظ ذلك الزرع، وقوله: فاستوى على سوقه، أي: تم وتلاحق نباته وقام على سوقه، جمع ساق، وهي كناية عن أصوله، وقوله: يعجب الزراع، يعني: أن من كماله، واستوائه، وحسنه، واعتداله يعجب الزراع أهل الاختصاص، فمن باب أولى أن يعجب غيرهم، وقوله: ليغيظ بهم الكفار، أي: ليغيظ بالصحابة الكفار حين يرون اجتماعهم، وغيرتهم لدينهم، وشدّة مؤازرتهم لنبيهم، وحين يلاقونهم في ساحات القتال<sup>(20)</sup>.

فهذا مثل ضربه الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم؛

إذ خرج وحده؛ فأيده بأصحابه؛ كما قوى الزرع ما نبت منه؛ حتى كبر وغلظ واستحكم<sup>(21)</sup>.

أخرج الإمام الطبري بسنده عن قتادة قال في قوله: **ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه**: هذا مثل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الإنجيل، قيل لهم: إنه سيخرج قوم ينبئون نبات الزرع، منهم قوم يأمرسون بالمعروف، وينهون عن المنكر. وأخرج بسنده عن الضحاك أنه قال في قوله: **ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه** يعني: أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، يكونون قليلاً ثم يزدادون ويكثرُونَ ويستغلظون<sup>(22)</sup>. وقال الحافظ ابن كثير تعقيباً على هذا المثل: "فكذلك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أزروه وأيدوه ونصروه؛ فهم معه كالشطء مع الزرع؛ ليغيظ بهم الكفار"<sup>(23)</sup>. وأما موقع الآيتين من السورة، ودلالته:

فهذا يتضح بمعرفة صلتهما بما قبلهما من آيات.

فالآية التي كانت قبلهما هي قوله تبارك وتعالى: **إلقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله ءامنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً** { الفتح: 27.

وهذه الآية الكريمة تتناول رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رأى في المدينة؛ فأخبر بها أصحابه، وأنهم سيدخلون مكة ويطوفون بالبيت، فلما جرى يوم الحديبية ما جرى، ورجعوا من غير دخول لمكة وطواف بالبيت؛ شق ذلك عليهم، وأصابهم بسببه غم شديد؛ لأنهم ظنوا أن تحقيق الرؤيا سيكون في هذا العام<sup>(24)</sup>.

أخرج الإمام أحمد في مسنده عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم في قصة الحديبية في حديث طويل...، قالوا: (وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ما رأوا من الصلح والجوع وما تحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا أن يهلكوا)<sup>(25)</sup>.

وأخرج البخاري في صحيحه من حديث عمر رضي الله عنه عندما أشكل عليه إبرام الصلح مع المشركين؛ أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: (بلى فأخبرتكم أنا تأتونه العام؟) قال: قلت: لا، قال: (فإنك آتية ومطوف به)<sup>(26)</sup>.

فكان نزول قوله تعالى: **إلقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق** ... { الآية - تأكيداً لوقوع الرؤيا وصدقها، وأنه لا يقدح في ذلك تأخر تأويلها.

وقد ختمت هذه الآية الكريمة بقوله عز وجل: **{ فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً }**. وتقدم أن المراد بهذا الفتح هو صلح الحديبية، وأنه كان كالتمهيد لما بعده من فتوحات عظيمة، بدءاً بفتح خيبر، ثم فتح مكة، ثم دخل الناس بعدها في دين الله أفواجا، وقد وقف معه صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع في السنة العاشرة أكثر من مائة ألف<sup>(27)</sup>. والمقصود أن هذه الآية قد بشرت بأن صلح الحديبية كان بداية التمكين لهذا الدين العظيم.

ثم أكد الله تعالى هذا الوعد بالآية التالية؛ فقال تبارك وتعالى: **{ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا }** { الفتح: 28<sup>(28)</sup>. ويشير إلى هذا التأكيد خاتمة الآية: **وكفى بالله شهيدا**، أي: كفى بالله شاهداً على صدق الرؤيا التي رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(29)</sup>.

كما أن هذه الآية بمثابة التعليل لما قبلها، أي أن الله تعالى امتن على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى المؤمنين بهذا الفتح وما تلاه من فتوحات، وأن ما جرى فيه من أحكام إنما هي جزء من الرسالة المحمدية؛ فهذه الأحكام - وإن شئت على بعض الصحابة، وخفيت عليهم حكماتها - فإنها في واقع الأمر هدى وحق ورحمة؛ لأن الله تعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله<sup>(30)</sup>.

ولما بين جل وعلا في هذه الآية مقومات ظهور الدين، وهما الهدى ودين الحق؛ بين في الآية التي تلتها صفات الذين يكون ظهور الدين وعلوه على أيديهم، وفي مقدمتهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، من المهاجرين والأنصار؛ فقال تبارك وتعالى: **{ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين ءامنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة أجراً عظيماً }** { الفتح: 29.

فجاءت هاتان الآيتان في نظم آيات السورة في أحسن مكان وأبدعه؛ فهما كالنتيجة لكل ما تقدمهما من آيات. بيد أن حديثي في المبحث القادم سينصب على الآية الثامنة والعشرين من السورة لعلاقتها المباشرة بموضوع البحث.

#### المبحث الثاني

دراسة موضوعية تحليلية للآية الثامنة والعشرين من السورة تقدم أن موضوع الآية الثامنة والعشرين من السورة يتناول

الطريق، ومنه الدليل، يسمّى هادياً؛ لأنّه يتقدّم القوم ويتبعونه؛ فيهديهم للطريق، وهو المراد بقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: { إني آنست نارا لعلي ءاتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى { طه: 10، أي: هاديا (34).

وقد ذكر المفسرون في معنى الهدى ثلاثة أقوال (35):

أحدها: أنه القرآن.

والثاني: التوحيد.

والثالث: بيان الفرائض.

ويؤيد القول الأول أن الله تعالى - في مواضع كثيرة من القرآن - قد سمى كتابه هدى، وأنه يهدي للحق والرشاد وللتي هي أقوم.

قال عز وجل: { ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين { البقرة: 2.

وقال: { تلك آيات الكتاب الحكيم \* هدى ورحمة للمحسنين { لقمان: 2-3.

وقال: { قل نزل به روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين ءامنوا وهدى وبشرى للمسلمين { النحل: 102.

وقال عز شأنه: { إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم { الإسراء: 9.

وقال على لسان النفر من الجن: { إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم { الأحقاف: 30.

وفي سورة الجن قال على لسانهم: { إنا سمعنا قرآناً عجبا \* يهدي إلى الرشاد { الجن: 1-2.

وفي موضع آخر من السورة نفسها قالوا: { وأنا لما سمعنا الهدى ءامنا به { الجن: 13.

وقوله: { ودين الحق: أصلها الدين الحق، وهذا من إضافة الموصوف إلى صفته، وهو يفيد شدة تلبس الموصوف بالصفة، أي: أن الحق صفة عظيمة من صفات الدين، متلبسة به، لا تتفك عنه البتة (36).

وذكر: مقاتل، وابن جرير، والبغوي، وغير واحد من المفسرين أن المراد بقوله: { ودين الحق الإسلام (37).

والذي يظهر أن الهدى ودين الحق من جوامع كلم القرآن، وبينهما وجه علاقة وتناسب، كما ذهب إلى هذا جملة من المحققين.

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن لفظ الهدى في القرآن إذا أطلق تناول العلم الذي بعث الله به رسوله والعمل به جميعاً؛ فيدخل فيه كل ما أمر الله به، كما في قوله تعالى: {اهدنا الصراط المستقيم} الفاتحة: 6، والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميعاً، وكذلك قوله: {هدى للمتقين} البقرة: 20،

أسباب ظهور دين الإسلام وعلوه على سائر الأديان، وأن أعظم هذه الأسباب هو الهدى ودين الحق.

وبيان ذلك يتطلب دراسة وافية للآية، والوقوف عند نظمها وجملها وكلماتها؛ للتعرف على معانيها ودلالاتها.

لكن الغرض الأهم من هذا المبحث هو بيان أن الآية دليل ظاهر على أن العلم أصل في نهضة الأمة المسلمة وظهورها.

قال الله تعالى: { هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا { الفتح: 28.

تشتمل هذه الآية الكريمة على ثلاث جمل:

الجملة الأولى هي قوله تعالى: هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق.

الجملة الثانية: هي قوله: ليظهره على الدين كله.

الجملة الثالثة: هي قوله: وكفى بالله شهيدا.

أما الجملة الأولى: هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق فهي جملة جامعة لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم. وهي على وجازتها تحمل معاني كثيرة.

ففي قوله تعالى: هو الذي أرسل رسوله صيغة قصر، أي هو لا غيره جل وعلا أرسل رسوله بالهدى ودين الحق. والضمير: هو عائد إلى اسم الجلالة في قوله تعالى: { لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق { في الآية السابقة. فهذه الجملة على هذا النحو تدل من وجه على عظيم منة الله جل وعلا على عباده أن أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، وهي من وجه آخر تدل على تأكيد صدق الرؤيا، كما تقدم، أي أن الله الذي صدق رسوله الرؤيا بالحق هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق (31).

والمراد بـ رسوله هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وإضافته إليه تعالى من باب التشريف والتتويه بشأنه عليه الصلاة والسلام.

ويشير قوله تعالى: هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق إلى أن الهدى ودين الحق هما أكبر دليل وبرهان على صدق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وهما برهان باق ما بقي الدهر، كلما ازداد العاقل فيهما تفكراً، ازداد بهما يقيناً وتبصراً (32).

والباء في قوله: بالهدى ودين الحق للملابسة، أي: ملتبسا به، والتباسه بالهدى بمعنى هاد، وقيل: الباء للمصاحبة، أي مصاحباً للهدى (33).

والهدى اسم مصدر الهدى، والفعل منه: هدى يهدي. والهدى نقيض الضلالة، ومنه قوله تعالى: { فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة { النحل: 36 وأصل الهدى في اللغة الدلالة، يقال: هداه يهديه هداية؛ إذا دلّه على

مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ) متفق عليه<sup>(43)</sup>.

وقد ساق البخاري هذا الحديث في صحيحه في كتاب العلم تحت باب: فضل من علم وعلم.

ففي هذا الحديث شبه صلى الله عليه وسلم<sup>(44)</sup> الهدى والعلم الذي جاء به بالغيث؛ لأن كلا منهما سبب الحياة؛ فبالغيث حياة الأبدان، وبالعلم حياة القلوب.

وشبه القلوب بالأودية، فبعضها صغير وبعضها كبير، وكذلك القلوب في حملها للعلم. كما شبه القلوب في قبولها للهدى والعلم وانتفاعها به بالأرضين في قبولها للغيث وانتفاعها به.

ووجه تسمية العلم النافع هدى؛ أنه هدى في نفسه؛ لأنه يدل ويرشد للتي هي أقوم، من الأقوال والأعمال والاعتقادات. ثم إنه أيضا يورث الهدى الكامل في الدنيا والآخرة<sup>(45)</sup>.

وأما الجملة الثانية، وهي قوله تبارك وتعالى: **ليظهره على الدين كله**؛ فهي تعليل للجملة الأولى ونتيجة لها، وهذا ظاهر.

وقوله: **ليظهره**: هو من الإظهار، وهو مشتق من الفعل ظهر، وأصله في اللغة: جعل الشيء على الظهر؛ كناية عن علوه وبدوه للرائي، وهو يعود إلى معنى واحد يجمع بين القوة والبروز. فاستعمل الظهور بمعنى الغلبة، ومنه قوله تعالى: **{ فأيدينا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين }** الصف: 14، واستعمل بمعنى الإعلاء، ومنه قول تعالى: **ليظهره على الدين كله**، والظهور والإظهار يدل أيضا على الشرف وعلو المكانة<sup>(46)</sup>.

وأما لفظ: **الدين** فالتعريف فيه للجنس المفيد للاستغراق، أي ليعلي دين الإسلام - وهو الدين الحق - على جميع الأديان، ويدخل في هذا الظهور ظهور أهله ونصرتهم على أهل الأديان الأخرى المخالفة لدين الإسلام؛ لأن لفظ: **الدين** هنا مستعمل في كلا معنييه: المعنى الحقيقي، والمعنى المجازي، أي: أهل الدين، كما في قوله تعالى: **{ واسأل القرية التي كنا فيها }** يوسف: 82، يعني أهل القرية<sup>(47)</sup>. ويدخل فيه أيضا من لا دين لهم من الأمم؛ فإن ظهور أهل الإسلام عليهم من باب أولى<sup>(48)</sup>.

وقد جاء في تفسير قوله تعالى: **ليظهره على الدين كله** قولان<sup>(49)</sup>:

القول الأول: ذهب ابن عباس رضي الله عنهما إلى أن الهاء في قوله: **ليظهره** عائدة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والمعنى أي: ليعلمه شرائع الدين كلها فيظهره عليها حتى لا يخفى عليه منها شيء، وكان المشركون واليهود يكرهون ذلك.

والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعملون به، ولهذا صاروا مفلحين، وكذلك قول أهل الجنة: **{ الحمد لله الذي هدانا لهذا }** الأعراف: 43، وإنما هداهم؛ بأن ألهمهم: العلم النافع، والعمل الصالح. وأما إذا اقترن لفظ الهدى بغيره كان المعنى بحسبه<sup>(38)</sup>.

ومن ذلك هذه الآية: **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق**.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فالهدى كمال العلم، ودين الحق كمال العمل، كقوله تعالى: **{ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار }** ص: 45"<sup>(39)</sup>.

وقال في موضع آخر من المجموع: "والخير والسعادة والكمال والصلاح منحصر في نوعين: في العلم النافع، والعمل الصالح. وقد بعث الله محمداً بأفضل ذلك وهو الهدى ودين الحق، كما قال: **{ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً }** الفتح: 28، وقد قال تعالى: **{ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار }** ص: 45، فذكر النوعين. قال الزبلي عن ابن عباس، يقول: أولو القوة في العبادة، والأبصار، قال: الأبصار: الفقه في الدين. وعن عطاء الخراساني: **أولي الأيدي والأبصار**، قال: أولو القوة في العبادة والبصر والعلم بأمر الله. وعن مجاهد، وروي عن قتادة قال: أعطوا قوة في العبادة وبصراً في الدين" اه باختصار<sup>(40)</sup>.

وممن فسر الهدى ودين الحق بهذا التفسير الحافظ بن كثير حيث قال: **"هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق**، أي: بالعلم النافع والعمل الصالح؛ فإن الشريعة تشتمل على شيئين: علم وعمل، فالعلم الشرعي صحيح، والعمل الشرعي مقبول، فأخباراتها حق وإنشاءاتها عدل"<sup>(41)</sup>.

وكذلك فسرها السعدي حيث قال: **"هو الذي أرسل رسوله بالهدى** الذي هو العلم النافع، الذي يهدي من الضلالة، ويبين طرق الخير والشر، و**دين الحق** أي: الدين الموصوف بالحق، وهو العدل والإحسان والرحمة، وهو كل عمل صالح مزك للقلوب، مطهر للنفوس، مرب للأخلاق، محل للأقدار"<sup>(42)</sup>.

وقد ورد في السنة إطلاق الهدى على العلم النافع، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيعٌ قَبِلْتُ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْغُسْبُ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبٌ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَفُفِعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تَنْبِتُ كَلًّا فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلِمَ وَمَثَلُ**

القول الثاني: أن الهاء راجعة إلى دين الحق، وأن الله ينصره ويعليه على سائر الأديان.

ويشهد لهذا القول ما أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى). فقلت: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله: {هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون} التوبة: 33 أن ذلك تاماً. قال: (إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحاً طَيِّبَةً فَتَوَفَّى كُلُّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ فَيَرْجَعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ) (50).

ثم إن هذا القول أيضاً موافق لسياق الآية (51)؛ فإن الآية التي قبلها - كما تقدم - قد ختمت بقوله عز وجل: {فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا}، وأن المراد بهذا الفتح هو صلح الحديبية، وأنه كان كالتمهيد لما بعده من فتوحات عظيمة، بدءاً بفتح خيبر، ثم أكد الله تعالى هذا الوعد بقوله: هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

والأولى أن تكون الآية شاملة للقولين، وعليه فالظهور الذي تكفل الله به لدينه الحق نوعان (52):

النوع الأول: ظهور بالحجة والبيان والبرهان. ولعل تفسير ابن عباس للآية - الآتف الذكر - يشير إلى هذا النوع من الظهور؛ لأن ظهور الرسول صلى الله عليه وسلم على المخالفين بالحجة والبرهان - لاسيما أهل الكتاب - لا يتحقق على الوجه الأكمل؛ إلا بعلمه بشرائع الدين كلها حتى لا يخفى عليه منها شيء. ولهذا قال رضي الله عنه: وكان المشركون واليهود يكرهون ذلك.

والنوع الثاني: ظهور بالنصر والظفر والغلبة والتأييد.

قال الإمام الشافعي، مقررًا لهذين النوعين: " قال الله جل ثناؤه: {هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون}.

فقد أظهر الله جل ثناؤه دينه الذي بعث به رسوله على الأديان بأن أبان لكل من سمعه أنه الحق وما خالفه من الأديان باطل.

وأظهره بأن جماع الشرك دينان: دين أهل الكتاب، ودين الأميين، فقهر رسول الله الأميين؛ حتى دانوا بالإسلام، طوعاً، وكرهاً، وقتل من أهل الكتاب، وسبى؛ حتى دان بعضهم بالإسلام، وأعطى بعض الجزية صاغرين، وجرى عليهم حكمه. وهذا ظهور الدين كله (53).

وهذان النوعان - الظهور بالحجة، والظهور بالقوة -

يستندان إلى الهدى ودين الحق الذين أرسل بهما محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ فبالهدى يكون الظهور بالحجة والبرهان، وبالدين الحق يكون الظهور بالقوة والظفر؛ لأن الدين الحق لا يتحقق ظهوره وهيمنته إلا بإقامة أهله له، بأركانه وشعائره، ومن أعظمها بركة، وأكثرها نفعاً، وهو سر خيريته ودوام تمكينه في الأرض: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، كما قال تبارك وتعالى: {وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ \* الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} الحج: 40 - 41، وقال تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} الأنفال: 39.

وكثيراً ما يقرن القرآن بين هذين النوعين: الظهور بالحجة والبيان، والظهور بالسيف والسنان؛ إذ بهما تمام الدعوة وكمال الظهور لدينه ونبويه والمؤمنين، كما قال جل وعلا: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} الحديد: 25. فقوله: لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط هذا هو الهدى. وقوله: وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد هذا هو النصر، ولذا قال بعدها: وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب. فذكر الكتاب الهادي والحديد الناصر.

ومن الآيات الدالة على هذا المعنى أيضاً قوله تبارك وتعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ \* نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ \* مِنْ قَبْلِ هَذَا لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ} آل عمران: 2-4، فذكر إنزال الكتاب الهادي، المتضمن للحجج الدامغة والبراهين القاطعة، وذكر الفرقان، وهو النصر، الذي يفرق الله به بين الحق والباطل (54).

ومنها أيضاً، قوله عز وجل: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ} الأنبياء: 48، فالفرقان نصره له على فرعون وقومه، والضياء والذكر: التوراة، وهو الهدى الذي أرسل الله به موسى عليه السلام (55).

وسر اقتران النصر بالهدى أن كلا منهما يحصل به الفرقان بين الحق والباطل، المفضي لعلو الدين وظهوره (56).

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم مصداق موعود الله في ظهور دينه الحق وعلوه على سائر الملل والأديان؛ فقد أخرج مسلم في صحيحه عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنَّ اللَّهَ رَوَى لِي الْأَرْضَ



فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا رُؤِيَ لِي مِنْهَا وَأَعْطِيتُ الْكَثْرَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ.. الحديث. وقوله: زوى، أي: جمع لي الأرض حتى أتمكنني الإشراف على ما زوي لي منها. والمراد بالكثرتين: كنزي كسرى وقيصر<sup>(57)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد بسنده عن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرَ إِلَّا أَنْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعَزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ وَذُلًّا يَذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ).

وكان تميم الداري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافرا الذل والصغار والجزية<sup>(58)</sup>.

وإذا تأملنا في قوله تعالى: هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ونظرنا إلى ما بين الجملتين الأولى والثانية من ترابط وثيق؛ سنلاحظ أن فيهما دلالة على أن ظهور الدين الحق وعلوه وانتصاره قد صار وصفا لازما له، لا ينفك عنه.

يقول الإمام السعدي عند تفسيره لقوله تعالى: ليظهره على الدين كله: "فأما نفس الدين، فهذا الوصف - يعني ظهور الدين - ملازم له في كل وقت، فلا يمكن أن يغالبه مغالب، أو يخاصمه مخاصم؛ إلا فلجه وبلسه، وصار له الظهور والقهر، وأما المنتسبون إليه، فإنهم إذا قاموا به، واستناروا بنوره، واهتدوا بهديه، في مصالح دينهم ودنياهم؛ فكذا لا يقوم لهم أحد، ولا بد أن يظهروا على أهل الأديان. وإذا ضيعوه، واكتفوا منه بمجرد الانتساب إليه؛ لم ينفعهم ذلك، وصار إهمالهم له سبب تسليط الأعداء عليهم. ويعرف هذا من استقرأ الأحوال ونظر في أول المسلمين وآخرهم" اهـ<sup>(59)</sup>.

وقوله عز وجل: وكفى بالله شهيدا.

هذه الجملة التي ختمت بها هذه الآية لها صلة بما قبلها؛ فهي تأكيد لما تقدمها من بشارة في علو هذا الدين والتمكين له<sup>(60)</sup>.

أخرج ابن جرير الطبري بسنده عن الحسن أنه قال في تفسير قوله تعالى: { هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا }. قال: أشهد لك على نفسه أنه سيظهر دينك على الدين كله، وهذا إعلام من الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم، والذين كرهوا الصلح يوم الحديبية من أصحابه، أن الله فاتح عليهم مكة وغيرها من البلدان، مسليهم بذلك عما نالهم من الكآبة والحزن، بانصرافهم عن مكة قبل دخولهم لها، وقبل طوافهم بالبيت<sup>(61)</sup>.

وقد دلت هذه الجملة على صدق الرسول صلى الله عليه

وآله وسلم وصدق ما جاء به، وأنه حقيق بالعلو والظهور. قال ابن القيم: " فكونه سبحانه شاهدا لرسوله معلوم بسائر أنواع الأدلة عقلية ونقلية وفطرية وضروريةا ونظريها، ومن نظر في ذلك وتأمله؛ علم أن الله سبحانه شهد لرسوله أصدق الشهادة وأعدلها وأظهرها، وصدقها بسائر أنواع التصديق، بقوله الذي أقام البراهين على صدقه فيه، وبفعله، وإقراره، وبما فطر عليه عبادته من الإقرار بكماله وتنزيهه عن القبايح وعما لا يليق به، وفي كل وقت يحدث من الآيات الدالة على صدق رسوله ما يقيم به الحجة ويزيل به العذر ويحكم له ولأتباعه بما وعدهم به من العز والنجاة والظفر والتأييد ويحكم على أعدائه ومكذبيه بما توعدهم به من الخزي والنكال والعقوبات المعجلة الدالة على تحقيق العقوبات المؤجلة<sup>(62)</sup>.

قال محمد ابن عثيمين: " ولو قال قائل: ما مناسبة قوله: وكفى بالله شهيدا، لقوله: ليظهره على الدين كله قيل: المناسبة ظاهرة، لأن هذا النبي عليه الصلاة والسلام جاء يدعو الناس ويقول: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني دخل النار. ويقول بلسان الحال: من أطاعني سالمته، ومن عصاني حاربتة ويحارب الناس بهذا الدين، ويستبيح دماءهم وأموالهم ونساءهم وذريتهم، وهو في ذلك منصور مؤزر غالب غير مغلوب، فهذا التمكين له في الأرض، أي تمكين الله لرسوله في الأرض: شهادة من الله عز وجل فعلية بأنه صادق وأن دينه حق، لأن كل من افتري على الله كذباً فمآله الخذلان والزوال والعدم" اهـ<sup>(63)</sup>.

مما تقدم أخلص إلى أن قوله تعالى: { هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله } أصل في ظهور دين الإسلام وأهله ظهورا بالحجة والبرهان، وظهورا بالقوة والسنان.

وسأتناول هذين النوعين بالتفصيل في المبحثين التاليين؛ مبينا أن العلم أصل لهذين النوعين.

### المبحث الثالث

#### العلم أصل للظهور بالحجة والبرهان

انتهيت في المبحث السابق إلى أن المراد بالظهور في قوله تعالى: الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله يشمل نوعي الظهور: بالحجة، وبالقوة. أما الحجة فمبناها على العلم النافع، وهو أصل في ظهور الأمة كما تقدم.

والسبب في تبوء العلم النافع هذه المنزلة يعود إلى أمرين:

أحدهما: مصادر تلقيه

الثاني: خصائصه

ورجاءه والتوكل عليه والرضا بقضائه والصبر على بلائه.  
ومنها: أنه السبيل لمعرفة ما يحبه الله ويرضاه وما يكرهه  
ويسخطه من الاعتقادات والأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة؛  
فيوجب ذلك لمن علمه المسارعة إلى ما فيه محبة الله ورضاه  
والتباعد عما يكرهه ويسخطه. فإذا أثمر العلم لصاحبه هذا فهو  
علم نافع.

ومنها: أنه المصدر الذي يؤخذ منه المنهج الإسلامي  
وتقرر فيه الأصول التي يقوم عليها المنهج بل حتى الأهداف  
وتضبط فيه الوسائل، فمعرفة منهج النهوض بالأمة المسلمة  
بقواعده وسماته وضوابطه إنما يكون بالعلم النافع.

ومنها: أنه سبب لرفعة المؤمنين ورفعة شأنهم في الدنيا  
والآخرة؛ كما قال تعالى: **{يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين  
أوتوا العلم درجات} المجادلة: 11**. والرفعة تشمل الرفعة  
المعنوية بعلو المنزلة وحسن الصيت وتشمل الرفعة الحسية في  
الآخرة وهذا هو الأهم بعلو المنزلة في الجنة.

جاء في صحيح مسلم عن نافع بن عبد الحارث أنه لقي  
عمر بعُصفان، وكان عمر رضي الله عنه يستعمله على مكة؛  
فقال: من استعملت على أهل الوادي؛ فقال: ابن أبزى. قال:  
ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا. قال: فاستخلفت عليهم  
مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم  
بالفرائض. قال عمر: أما إن نبيكم - صلى الله عليه وسلم -  
قد قال: **{إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ  
آخَرِينَ}** (67).

ومنها: أنه طريق لتحقيق الغاية الكبرى للخلق وهي العبودية  
للله تعالى كما قال تعالى: **{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ  
لذُنُوبِكُمْ}** محمد: 19.

وقد عقد الإمام البخاري رحمه الله في كتابه الصحيح في  
كتاب العلم باباً أسماه باب العلم قبل القول والعمل وصدده بهذه  
الآية (68).

ومنها: أنه علم سلفي، أي: أنه العلم الذي ورثته الأمة  
موثقاً عن السلف الصالح، أصحاب القرون المفضلة، وفي  
مقدمتهم الصحابة رضوان الله عليهم، ومن جاء بعدهم ممن  
سار على نهجهم.

فقد ضبطوا نصوص الكتاب والسنة، وفهموا معانيها وتقيدوا  
في ذلك بالمأثور في معاني القرآن والحديث والفقه والزهد  
والرفائق والمعارف وغير ذلك (69).

ومنها: أنه شامل لجميع النشاطات الإنسانية؛ حيث تجد في  
هذا العلم حكماً لأي مسألة حادثة؛ لأنه يقوم على قواعد  
تستوعب ما يجد من أحداث؛ فهو علم رباني، أي: من عند الله  
الذي يعلم ما كان وما سيكون. ولهذا فهو علم عملي، لا

أما مصادر تلقي العلم النافع: فهما الكتاب والسنة، من  
خلال فهم السلف الصالح لهما.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً منزلة السلف في فهمهم  
للكتاب والسنة: "ومن تدبر كلام أئمة السنة المشاهير في هذا  
الباب علم أنهم كانوا أدق الناس نظراً وأعلم الناس في هذا  
الباب بصحيح المنقول وصريح المعقول وأن أقوالهم هي  
الموافقة للمنصوص والمعقول ولهذا تأتلف ولا تختلف وتتوافق  
ولا تتناقض" (64).

وعلى رأسهم الصحابة الأبرار، رضوان الله عليهم؛ فهم  
أعلام الدين، ومصابيح الهدى، وهم أكمل الناس علماً، وأدقهم  
نظراً، وأبرهم قلوباً، وأقلهم تكلفاً.

وقد مدحهم الله تعالى وزكاهم في غير ما آية من كتابه،  
كقوله عز وجل:

**{والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين  
اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات  
تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم}**  
التوبة: 100.

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم قد شهد لهم بأنهم خير  
القرون.

وما ذاك إلا لأنهم قد خصوا بفضيلتين، هما عماد خيريتهم  
وفضلهم على غيرهم:

الأولى: مشاهدتهم تنزل القرآن، غضا، طرباً، حالاً بعد  
حال.

والثانية: وجود الرسول صلى الله عليه وسلم - أفضل  
الخلق وأعلمهم وأفصحهم وأنصحهم - بين أظهرهم، وصحبته  
له؛ فكان يربيهما بالقرآن، ويتلو عليهم آياته البينات، ويزكيهم  
بها، كما قال تبارك وتعالى على لسان إبراهيم وإسماعيل،  
عليهما السلام: **{ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم  
آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم}** إنك أنت العزيز  
الحكيم {البقرة: 129} (65).

ثم إن من الدلائل على سلامة فهم الصحابة للكتاب والسنة  
أن منهجهم في التلقي كان يقوم على ركيزتين:

الأولى: صدق الباعث وقوته؛ فالباعث لهم على تعلم  
القرآن والسنة والفقه فيهما هو الإيمان.

والثانية: سلامة الغاية وسموها؛ فالغاية التي يبيغونها من  
 وراء هذا الفقه هي العمل.

هذه مصادر العلم النافع، وهذا حال حملته ونقلته.  
وأما خصائص العلم النافع التي ميزته فكثيرة (66):

منها: أنه السبيل لمعرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته  
وأفعاله، وذلك يستلزم إجلاله وإعظامه وخشيته ومهابته ومحبته

جماعة من الصحابة والتابعين كتابة الحديث واستحبوا أن يؤخذ عنهم حفظاً كما أخذوا حفظاً لكن لما قصرت الهمم وخشي ضياع العلم دونوه<sup>(79)</sup>.

وإذا كان تلقي العلم من أفواه العلماء؛ فإن ذلك سبب لصحة الفهم، والأهم أنه سبب لاقتناء آثارهم وأخلاقيهم؛ فيجمع الطالب بين: العلم الأصيل، والفهم الصحيح، والسمت الحسن.

وتلقي العلم من بطون الكتب بدلاً من الشيوخ ليس من منهج السلف وله مزالق خطيرة وآثار ربما تكون مدمرة.

ومنها: أنه لا ينفع صاحبه إلا إذا كان خالصاً لوجه الله، إنما طلبه؛ لينفي عن نفسه الجهل، وليعبد الله عز وجل على بصيرة كما أمره الله تعالى<sup>(80)</sup>.

وإن من أعظم ثمار العلم النافع أن يورث في قلبه صاحبه خشية الله تعالى وتعظيم شعائره وحرماته، قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} فاطر: ٢٨؛ فأعلم خلقه أنه إنما يخشاه العلماء<sup>(81)</sup>.

هذه مصادر العلم النافع وخصائصه التي استحق بها أن يكون أصلاً لظهور الأمة ونهضتها بالحجة والبرهان. وأما الظهور بالقوة والسنان فالحديث عنه سيكون في المبحث التالي.

#### المبحث الرابع

##### العلم أصل للظهور بالقوة

تناولت في المبحث السابق النوع الأول من أنواع الظهور، وهو الظهور بالحجة والبرهان، وأن مبناه على العلم الشرعي. وفي هذا البحث أتناول النوع الثاني من أنواع الظهور، وهو الظهور بالقوة، وهي تقوم على عنصرين رئيسين: أحدهما: إعداد الرجل الصالح.

الثاني: إعداد الآلة الحربية الفاعلة.

أما إعداد الرجل الصالح فهو العنصر الأهم للظهور بالقوة، وتحقيقه يكون بالتربية بالعلم النافع والعمل الصالح؛ للوصول إلى الصفات المنشودة المذكورة في قوله تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَرَاءِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَرَاءَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} الفتح: 29. وقد تقدم الكلام عن هذه الآية في مبحث سابق.

وإعداد الرجل الصالح لا يقتصر على المجاهدين والجند المرابطين، بل لابد أن يكون شاملاً لجميع أفراد المجتمع، رجالاً

يستحق صاحبه صفة العلم حتى تظهر آثاره عليه. ولذلك جاء الثناء العظيم على العلماء العاملين، قال الله تعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آثَاءُ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ} الزمر: 9.

وقد دل الاستقهام في آخر الآية على أن الحامل على الخوف والرجاء والعمل الصالح إنما هو العلم النافع.

قال صاحب الكشاف: "وأراد بالذين يعلمون: العاملين من علماء الديانة، كأنه جعل من لا يعمل غير عالم. وفيه ازدراء عظيم بالذين يفتنون العلوم، ثم لا يقننون، ويفتنون فيها، ثم يفتنون بالدنيا، فهم عند الله جهلة؛ حيث جعل القانونين هم العلماء"<sup>(70)</sup>.

وقال ابن الأعرابي: لا يقال للعالم رباني حتى يكون عالماً معلماً عاملاً<sup>(71)</sup>.

وأيضاً جاء التحذير من علم لا يعمل به.

عن جندب بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ كَمَثَلِ السَّرَّاجِ يَضِيءُ لِلنَّاسِ وَيُحْرِقُ نَفْسَهُ) رواه الطبراني في الكبير<sup>(72)</sup> <sup>(73)</sup>.

ومن خصائص العلم النافع: أنه علم محفوظ، موثق.

أما حفظه فقد دل عليه قوله تبارك وتعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} الحجر: ٩، والضمير في قوله: له عائد على الذكر، على الصحيح في تفسير هذه الآية<sup>(74)</sup>.

وهذا الحفظ الرباني الذي نصت عليه الآية شامل للفظ الذكر ومعناه، وعليه فيدخل في الحفظ: الكتاب، والسنة المبينة له، وأقوال السلف الصالح<sup>(75)</sup>.

وأما توثيقه، فإنه قد نقل إلينا بالأسانيد الصحيحة؛ استجابة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (يُحْمَلُ هَذَا الْعِلْمُ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ)<sup>(76)</sup>. وقوله صلى الله عليه وسلم: (تَضُرُّ اللَّهَ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها، ثُمَّ أَدَاها كَمَا سَمِعَهَا، فَرُبُّ حَامِلٍ فِقْهٍ وَلَيْسَ بِفَقِيهٍ، وَرُبُّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ)<sup>(77)</sup>.

فهذا يدل على وجوب بيان العلم وتحريم كتمه، وهو الميثاق المأخوذ على العلماء<sup>(78)</sup>؛ كما قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ} آل عمران: 187، وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ} البقرة: 159.

ومنها: أن حملته وتلقيه إنما يكون من أفواه الرجال، وليس من بطون الكتب فقط، ولذلك قال ابن حجر: قال العلماء: كره

عمران: 152<sup>(82)</sup>.

"قال محمد بن إسحاق، وابن جريج، والربيع بن أنس، والسدي: قل هو من عند أنفسكم، أي: بسبب عصيانكم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حين أمركم أن لا تبرحوا من مكانكم؛ فعصيتكم، يعني بذلك الرماة"<sup>(83)</sup>.

وأما إعداد الآلة الحربية الفاعلة؛ فقد دل عليه قوله تعالى: {وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} {الأنفال: 60}.

يقول رشيد رضا عند تفسيره لهذه الآية: "... فالواجب على المسلمين في هذا العصر - بنص القرآن - صنع المدافع بأنواعها، والبنادق، والدبابات، والطائرات، والمناطيد، وإنشاء السفن الحربية بأنواعها، ومنها الغواصات، التي تغوص في البحر، ويجب عليهم تعلم الفنون والصناعات التي يتوقف عليها صنع هذه الأشياء وغيرها من قوى الحرب؛ بدليل: ما لا يتم الواجب المطلق إلا به فهو واجب"<sup>(84)</sup>.

فتوفير الآلة الحربية الفاعلة يعد من باب الوسائل، وله طرق متعددة، أهمها طريقتان:

الأول: الشراء من مصادر متعددة، ويكون الضابط في هذه المصادر هو جودة المنتج وثمنه.

ولكن هذا الطريق صار اليوم خاضعا لسياسات الدول ومواقفها من الأحداث العالمية. ولذا فهو طريق غير مضمون. الثاني: التصنيع، والاستقلال بإنتاج ما تحتاجه الأمة من آلة حربية؛ فإن التصنيع عموما - كما يقول مالك بن نبي - وسيلة للمحافظة على كيان الأمة واستمرار نموها<sup>(85)</sup>.

وهذا يتطلب العناية بالعلم التجريبي، والبحوث المعملية، والعقول المبدعة، مع مواكبة ما يستجد من مخترعات ومكتشفات. ليس في هذا الجانب فحسب، بل في جميع الجوانب التي تمس حياة الناس ويحتاجونها، إضافة إلى أن أنواع التقنية في هذا العصر يغذي بعضها بعضا، ويعتمد بعضها على الآخر. ولابد أن يبلغ المسلمون بهذا مرحلة يكونون قادرين فيها على استغلال ثرواتهم، وإدارة شؤونهم، واستغنائهم عن الغرب.

ويتطلب نظاما سياسيا قويا غير خاضع في قراراته للمؤثرات والقوى العالمية.

كما يتطلب أيضا إيجاد نظام اقتصادي إسلامي متين يكون قادرا على فرض نفسه في الساحة العالمية<sup>(86)</sup>.

وهذه المتطلبات وغيرها - مما يلزم للقوة التي أمرنا بإعدادها - معدودة في الواجبات؛ لأن ما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وإن فالعلم لابد منه في نهضة الأمة وظهورها، لكن العلم الشرعي أصل أصيل، بينما العلم التجريبي وسيلة حتمية.

ونساء، صغارا وكبارا؛ لأن من سنن الله في عباده أنه تعالى جعل النصر على الأعداء والتمكين للمؤمنين في الأرض مرهونا بأمرين:

الأمر الأول: إخلاصهم العبادة له جل وعلا والإقامة على طاعته وطاعة رسوله.

قال في محكم التنزيل: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} \* وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} \* لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ومأواهم النار ولبلئس المصير {النور: 55-57}.

وقال عز وجل: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} \* الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} {الحج: 40 - 41}.

وهذه العبودية الخالصة، وهذه الأعمال الصالحة التي هي شرط التمكين هي الدين الحق الذي أرسل به محمد صلى الله عليه وسلم. وإقامته على الوجه الصحيح في النفوس وفي المجتمعات لا يتحقق؛ إلا إذا قام على الهدى، وهو العلم النافع، كما قال تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} محمد: 19.

وهذا يقتضي نشر العلم الشرعي الصحيح، والحث عليه، وتيسير تحصيله، وتعظيم شأنه، والاحتفاء برموزه وأهله، بل وإلزام كل مسلم ومسلمة أن يتعلم الحد الأدنى؛ منه لإقامة دينه على الوجه الصحيح.

الأمر الثاني: البعد عن المعاصي والذنوب؛ كما قال تعالى تعقيبا على غزوة أحد: {وَلَمَّا أَصَابَكُمْ مِصْبِيَّةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ} آل عمران: 165.

والمسلمون الذين أصيبوا في هذه الغزوة قد سبق لهم أن نالوا من العدو مثلي ما أصابهم؛ فقد قتلوا في بدر سبعين من صناديد قريش، وأصابوا أيضا من المشركين يوم أحد في مطلع المعركة؛ حينما كانوا مستقيمين على أمر الله وأمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - وقبل أن يضعفوا أمام إغراء الغنائم.

وقد بين الله تعالى المراد بقوله: قل هو من عند أنفسكم في موضع آخر من السورة؛ حين قال تبارك وتعالى: {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تَحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ} آل

## الخاتمة

### الخلاصة وأهم نتائج البحث

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أما بعد: فهذه خلاصة في أهم النتائج التي تم التوصل لها في البحث:

أن الموضوع الذي تتناوله آيات سورة الفتح هو التيشير بالفتح والنصر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولصحابته الكرام ولأمتهم من بعده. وكان من أهم مقاصد السورة: التأكيد على تعظيم حرمانات الله تعالى، وعلى أهمية امتثال المؤمنين وإذعانهم لحكم الله ورسوله إذعاناً تاماً، لا تردد فيه. أن السورة قد ختمت بآيتين قررتا بصورة جلية الأسباب التي تكفل للأمة الظهور والتمكين في كل عصر ومصر.

أن الآية الأولى منهما، وهي قوله تعالى: هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله أصل في ظهور دين الإسلام وأهله ظهوراً بالحجة والبرهان، وظهوراً بالقوة والسنان.

أن ظهور الدين بالحجة والبرهان يقوم على العلم النافع، وبالتالي فهو أصل في ظهور الأمة. والسبب في تبوء هذه المنزلة عائد في الجملة إلى خصائصه وإلى مصادر تلقيه.

أن ظهور الدين بالقوة، يقوم على عنصرين رئيسيين: إعداد الرجل الصالح، وإعداد الآلة الحربية الفاعلة، والأول يقوم على العلم النافع، والثاني يقوم على العلم التجريبي. قال الأمر إلى أن العلم لا بد منه في نهضة الأمة وظهورها، لكن العلم الشرعي أصل، والعلم التجريبي وسيلة.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## الهوامش

- (1) انظر تفسير القرطبي 259/16، والتحرير والتنوير 119/26.
- (2) أي ألححت في المسألة. قاله ابن قتيبة في غريب الحديث 402/1، والأزهري في تهذيب اللغة 129/13.
- (3) صحيح البخاري 1531/4 - كتاب المغازي - باب غزوة الحديبية - حديث رقم 3943.
- (4) صحيح البخاري 1530/4 - كتاب المغازي - باب غزوة الحديبية - حديث رقم 3939، وصحيح مسلم 176/5 - كتاب الجهاد والسير - باب صلح الحديبية - حديث رقم 4737.
- (5) صحيح البخاري 1162/3 - كتاب الجزية والموادعة - باب إثم من عاهد ثم غدر - حديث رقم 3011، وصحيح مسلم 1411/3، كتاب الجهاد والسير - باب صلح الحديبية في الحديبية - حديث رقم 1785.
- (6) (1). وصححه الحاكم وقال على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف سنن أبي داود رقم 587.
- (7) (1) انظر تفسير القرطبي 259/16، والتحرير والتنوير 119/26.
- (8) انظر تفسير البغوي 296/7، والبحر المحيط لأبي حيان 89/8، وأضواء البيان للشنقيطي 393/7.
- (9) انظر تفسير البغوي 296/7، وتفسير القرطبي 362/16.
- (10) تفسير ابن كثير 360/7.
- (11) انظر زاد المعاد لابن القيم 366/3.
- (12) دلائل النبوة 161/4. يقول حافظ حكيم في بحثه: مرويات غزوة الحديبية، جمع وتخريج ودراسة 268/1.
- "هذا الحديث مرسل، لكنه يرتفع إلى درجة الحسن لغيره لتعدد طرقه واختلاف مخرجه، لاسيما ولبعضه شاهد من الأحاديث السابقة".
- (13) السيرة النبوية لابن هشام 291/4. وانظر فتح الباري 441/7.
- (14) شفاء العليل ص 34.
- (15) تفسير ابن كثير 360/7.
- (16) تفسير الطبري 264/22.
- (17) تفسير ابن كثير 362/7.
- (18) انظر تفسير الطبري 267/22، وتفسير البغوي 324/7، وتفسير السعدي ص 795.
- (19) انظر تفسير ابن كثير 362/7.
- (20) انظر تفسير الطبري 268/22، وتفسير البغوي 323/7، والبحر المحيط لأبي حيان 102/8، وتفسير السعدي ص 795.
- (21) انظر زاد المسير لابن الجوزي 448/7.
- (22) تفسير الطبري 268/22.
- (23) تفسير ابن كثير 362/7.
- (24) انظر تفسير البغوي 322/7، وزاد المسير لابن الجوزي 442/7.
- (25) المسند 219/31 - حديث رقم 18910. قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.
- (26) صحيح البخاري 974/2 - كتاب الصلح - باب الشروط في الجهاد والمصالحة... - حديث رقم 2581.

- (27) مختصر السيرة النبوية لعز الدين ابن جماعة ص 68.
- (28) انظر تفسير الرازي 92/28.
- (29) انظر التحرير والتنوير 169/26.
- (30) انظر نظم الدرر للبقاعي 213/7، وتفسير السعدي ص 795.
- (31) انظر التحرير والتنوير 73/10.
- (32) انظر تفسير السعدي ص 859.
- (33) انظر روح المعاني للألوسي 122/26، والتحرير والتنوير 170/26.
- (34) انظر تفسير الطبري 277/18، وتهذيب اللغة للأزهري 201/6، والتحرير والتنوير 222/1.
- (35) انظر الكشف والبيان للثعلبي 35/5، وتفسير البغوي 39/4، وزاد المسير 427/3.
- (36) انظر نظم الدرر للبقاعي 584/7.
- (37) تفسير مقاتل بن سليمان 254/3، وتفسير الطبري 260/22، وتفسير البغوي 39/4، وزاد المسير 427/3.
- (38) انظر مجموع الفتاوى 166/7.
- (39) مجموع الفتاوى 59/2.
- (40) تفسير ابن كثير 360/7.
- (41) تفسير السعدي ص 795.
- (42) مجموع الفتاوى 170/19.
- (43) صحيح البخاري 42/1 - كتاب العلم - باب فضل من علم وعلم - حديث رقم 79، وصحيح مسلم 63/7 - كتاب الفضائل - بيان مثل ما بعث النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم - حديث رقم 6093.
- (44) انظر شرح هذا المثل النبوي في زاد المهاجر لابن القيم ص 55.
- (45) انظر شرح العقيدة الواسطية لصالح آل الشيخ.
- (46) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس 471/3، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني 57/2، وروح المعاني للألوسي 122/26، والتحرير والتنوير 170/26.
- (47) انظر التحرير والتنوير 172/28.
- (48) انظر مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين 16/8.
- (49) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري 215/14، وتفسير البغوي 40/4.
- (50) صحيح مسلم 182/8 - كتاب الفتن وأشرط الساعة - لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة - حديث رقم 7483.
- (51) انظر المحرر الوجيز لابن عطية 30/3.
- (52) مجموع الفتاوى 12/13، وانظر إغاثة اللهفان لابن القيم 470/3.
- (53) أحكام القرآن 49/2. وانظر مجموع الفتاوى 12/13، وإغاثة اللهفان لابن القيم 470/3.
- (54) قال ابن عطية عند تفسيره لهذه الآية: "قال بعض المفسرين الفرقان هنا كل أمر فرق بين الحق والباطل فيما قدم وحدث
- فيدخل في هذا التأويل: طوفان نوح، وغرق البحر لغرق فرعون، ويوم بدر، وسائر أفعال الله تعالى المفرقة بين الحق والباطل، فكأنه تعالى ذكر الكتاب العزيز ثم التوراة والإنجيل ثم كل أفعاله ومخلوقاته التي فرقته بين الحق والباطل كما فعلت هذه الكتب " اهـ. المحرر الوجيز 399/1. ويؤيد هذا التفسير أن الله تعالى توعد الكفار في الآية نفسها، فقال في الشطر الثاني من الآية: {إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام} آل عمران: 4.
- (55) وهذا التفسير للفرقان هو قول ابن زيد، رواه الطبري في تفسيره 453/18، وقال بأنه أشبه بظاهر التنزيل، وكذلك قال الثعلبي في الكشف والبيان 278/6، ورجحه ابن القيم في بدائع الفوائد 252/2.
- (56) انظر ما تقدم من حديث عن هذين النوعين في بدائع الفوائد لابن القيم 252/2.
- (57) انظر شرح النووي على مسلم 13/18، وكشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي 1142/1.
- (58) المسند 154/28 - حديث رقم 16957. قال الهيثمي في مجمع الزوائد 427/5: رجاله رجال الصحيح. وقال شعيب الأنزوط في تعليقه على المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم. وقوله: بيت مدر: هو البيت المبني من الطين، فالمدبر بفتح الميم والدال هو الطين الصلب. انظر شرح النووي على صحيح مسلم 69/18.
- (59) تفسير السعدي ص 859.
- (60) انظر التحرير والتنوير 169/26.
- (61) تفسير الطبري 261/22.
- (62) انظر مدارج السالكين لابن القيم 470/3.
- (63) مجموعة فتاوى ورسائل ابن عثيمين 17/8.
- (64) درء تعارض العقل والنقل 301/2.
- (65) انظر تفسير أبي السعود 65/2، وتفسير السعدي ص 141.
- (66) فضل علم السلف للحافظ ابن رجب الحنبلي ص 64.
- (67) صحيح مسلم 201/2 - كتاب صلاة المسافرين - باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها - حديث رقم 1934.
- (68) صحيح البخاري 37/1.
- (69) فضل علم السلف ص 63.
- (70) الكشف 117/4.
- (71) فتح الباري 162/1.
- (72) المعجم الكبير 165/2، حديث رقم 1681. قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب 31/1: إسناده حسن.
- (73) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي ص 49.
- (74) انظر أضواء البيان 255/2.
- (75) انظر تفسير السعدي ص 429.
- (76) أخرجه أبو بكر الأجري في الشريعة 273/1، من حديث إبراهيم بن عبد الرحمن العذري. وصححه الإمام أحمد، كما ذكر الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث

- 29/1. قال ابن القيم في إغاثة اللهفان 159/1 في شرحه لهذا الحديث: " فأخبر أن الغالين يحرفون ما جاء به، والمبطلون ينتحلون بباطلهم غير ما كان عليه، والجاهلون يتأولونه على غير تأويله، وفساد الإسلام من هؤلاء الطوائف الثلاثة، فلو أن الله تعالى يقيم لدينه من ينفي عنه ذلك لجرى عليه ما جرى على أديان الأنبياء قبله" اهـ.
- (77) رواه أصحاب السنن من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه، وحسنه الترمذي، وصححه الألباني، ولفظه: (نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبْلَغَهُ غَيْرُهُ قُرْبَ حَامِلٍ فَقِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ وَرُبَّ حَامِلٍ فَقِهِ لَيْسَ بِفَقِيهِ). انظر: سنن أبي داود 346/2 - كتاب العلم - باب فضل نشر العلم - حديث رقم 3660، وسنن الترمذي 33/5 - كتاب العلم - باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع - حديث رقم 2656، وصحيح الترغيب والترهيب 21/1 - حديث رقم 91.
- (78) فيض القدير للمناوي 284/6.
- (79) فتح الباري 208/1.
- (80) أخلاق العلماء لأبي بكر الآجري ص 47.
- (81) انظر المصدر السابق ص 18.
- (82) انظر أضواء البيان 298/1. ومعنى قوله: تحسونهم، أي: تقتلونهم. تفسير الطبري 287/7.
- (83) تفسير ابن كثير 159/2.
- (84) تفسير المنار 62/10.
- (85) شروط النهضة ص 97.
- (86) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبي الحسن الندوي ص 290.

## المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشر، 1422هـ، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق علي حسين البواب، 1418هـ - 1997م، دار الوطن، الرياض.
- ابن تيمية، أبو العباس أحمد، مجموع فتاوى ابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ومساعدة ابنه محمد، 1415هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد، درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن، 1417هـ - 1997م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 1379هـ، دار المعرفة، بيروت.
- ابن عاشر، محمد الطاهر، التحرير والتنوير من التفسير، مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الأولى، 1420هـ، بيروت، لبنان.
- ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: تحقيق المجلس العلمي بفاس، 1395هـ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- ابن قتيبة الدينوري، غريب الحديث، تحقيق عبد الله الجبوري، 1397هـ، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى.
- ابن هشام، عبد الملك بن أيوب، السيرة النبوية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، 1411هـ، دار الجيل، بيروت.
- أبو الحسين، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم: تحقيق سامي بن محمد سلامة، 1420هـ، الطبعة الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع.
- الآجري، أبو بكر محمد، الشريعة، تحقيق عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، 1420 هـ، الطبعة الثانية، دار الوطن، الرياض.
- الآجري، أبو بكر، أخلاق العلماء، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، 1398هـ.
- الأزهري، أبو منصور محمد، تهذيب اللغة: تحقيق عبد السلام هارون مع آخرين، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب، الطبعة الخامسة، مكتبة المعارف، الرياض.
- الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الأملي، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن: أبو جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، 1420 هـ، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة.
- الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، 1413هـ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تحقيق مصطفى ديب البغا، 1407هـ، الطبعة الثالثة، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت.
- البغدادی، أبو بكر أحمد، اقتضاء العلم العمل، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، 1397هـ، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة.
- البغدادی، أحمد بن علي، شرف أصحاب الحديث: بن ثابت أبي بكر، تحقيق محمد سعيد خطي أوغلي، دار إحياء السنة النبوية، أنقرة.
- البغوي، أبو محمد الحسين معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله

الزرعي، محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد: تحقيق هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد الحج، 1416 - 1996، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، الطبعة الأولى.

الزرعي، محمد بن أبي بكر، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تحقيق محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، 1398 - 1978، دار الفكر، بيروت.

الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأفاويل في وجوه التأويل، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، 1420هـ، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة.

الشافعي، محمد بن إدريس، أحكام القرآن، تحقيق عبد الغني عبد الخالق، 1400هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، عالم الكتب، بيروت.

الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، بن أيوب أبو القاسم تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي، 1404 - 1983، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية.

العمادي، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

القرطبي، أبو عبد الله محمد، الجامع لأحكام القرآن: دار إحياء التراث العربي.

مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين وآخر، دار الفكر، دمشق.

معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، 1399هـ - 1979م، دار الفكر.

مقاتل بن سليمان، أبو الحسن، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق أحمد فريد، 1424هـ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت.

المنائوي، عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار المعرفة، الطبعة الثانية 1391هـ.

الندوي، أبو الحسن، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، دار القلم، الكويت، الطبعة الثالثة عشرة، 1402هـ.

النووي، أبو زكريا يحيى، صحيح مسلم بشرح النووي، دار الجبل، دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان.

الهيثمي، نور الدين علي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحرير الحافظين الجليلين، العراقي وابن حجر، 1412 هـ، دار الفكر، بيروت.

النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، 1417 هـ، الطبعة الرابعة، دار طيبة للنشر والتوزيع.

البقاعي، برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الطبعة الثانية، 1413هـ، المكتبة التجارية، مكة، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

بن الأشعث، أبو داود، سنن أبي داود: دار الكتاب العربي، بيروت. بن حنبل، أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، 1420هـ، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة.

البهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوة، تحقيق الدكتور عبد المعطى قلعجي، 1408 هـ / 1988م، دار الكتب العلمية ودار الريان للتراث، الطبعة الأولى.

الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الجوزي، عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، الطبعة الثالثة، 1404هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

الحافظ أبو رجب الحنبلي، فضل علم السلف على علم الخلف، تحقيق يحيى مختار غزاوي، 1403هـ، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى.

الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، 1411هـ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

الحكمي، حافظ بن محمد، مرويّات غزوة الحديبية جمع وتخريج ودراسة، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1406هـ.

الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، المكتبة التجارية، 1410هـ، مكة المكرمة.

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم - دمشق.

رضا، تفسير المنار: محمد رشيد، 1414هـ، دار المعرفة، بيروت.

الزرعي، أبو عبد الله محمد، زاد المعاد في هدي خير العباد: تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، 1407هـ، الطبعة الرابعة عشرة، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الكويت.

الزرعي، أبو عبد الله محمد، زاد المهاجر إلى ربه، أو الرسالة النبوكية: تحقيق محمد جميل غازي، مكتبة المدني، جدة.

الزرعي، أبو عبد الله محمد، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، 1393هـ، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت.

الزرعي، محمد بن أبو بكر، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: تحقيق محمد حامد الفقي، 1395هـ، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت.



## Science As Root for Islamic Nation Progress and Existence “Objective Study”

*AbedAlaziz AlSehebani\**

### ABSTRACT

The subject matter of the verses of Surah Al Fath is the Victorious news commanded for the messenger of Allah Prophet Muhammad (may Allah bless him and his companions and the followers after Him).

The most important purpose of the Surah: It Emphasizes on maximizing sanctities of the Almighty God, and the importance of compliance with the rule of Allah and His Messenger, and the believers full compliance without any hesitation.

Indeed the Surah had been sealed by two verses which have decided to clear the reasons and to ensure that the emerging nations and empowerments in every coming era.

The First Ayah from them the Almighty says:

{هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله} out of the emergence of the religion Islam and its peoples visible arguments, and evidence. It is more pronounced and visible by force and the tongue. The emerging argument and evidence shows the beneficial knowledge, thus it is from the origin and emergence of the nation. The reason for this position is to return on this assumption of the sentence to its characteristics and sources which are received.

The emerging by force, the main two categories: the development of the righteous person, and to produce real war machinery. The first is based on the useful knowledge, and the second is based on experimental knowledge. Indeed the knowledge is a must for the entire nation and its development. But the knowledge of Islamic studies is the foundation and experimental knowledge is a link between them.

**Keywords:** Science Progress, Islamic Nation.

---

\* Faculty of Foundations of Religion, Imam Mohammad University, Saudi Arabia, Received on 19/10/2010 and Accepted for Publication on 29/11/2011.